الغـزو الثـقافي
وأثره على الأسرة العراقية المسلمة

الأستاذ المساعد الدكتور
عماد هادي عبد علي

المدرس الدكتور
وسيم عبود عطية

جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات

الغزو الثقافي وأثره على الأسرة العراقية المسلمة

الأستاذ المساعد الدكتور
عماد هادي عبد علي

المدرس الدكتور
وسيم عبود عطية

جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات

المقدمة:ـ

شكلت ظاهرة تداخل الثقافات وتلاحقها إحدى سمات الحضارة الإنسانية عبر التاريخ، فقد كان هذا التداخل طبيعياً في الماضي، وتنوعت آلياته ووسائله سواء من خلال الاحتكاك والحروب أو التجارة أو الترجمة أو التزاوج أو عقد التحالفات أو تقليد المهزوم للمنتصر، إلا أن ما يجري الجدل في شأنه في ظل شبكة المعلومات بغض النظر عن المصطلح المستخدم لوصف الظاهرة سواء التبعية الثقافية أو الغزو الثقافي أو الهيمنة الثقافية أو الاختراق الثقافي أو الاستتباع الثقافي والتي لا يخلو بعضها من مضامين إيديولوجية ـ يختلف من حيث النوع والوسائل والآليات الأمر الذي يميز الظاهر عما عرف بتفاعل الثقافات ويحمل في ثناياه تحديات جسيمة على الهوية والشخصية الوطنية والثقافة المحلية والوطنية، بما يتضمن تخلي الإنسان عن مرجعيته وانتمائه وولائه، والاغتراب عن تاريخه وموروثه الحضاري، وهو ما تصفه وسائل الاتصال والبث المباشر والتي تعيد تشكيل الذاكرة والوعي الخاص بالبشرية ويذوب بـ العام ن وصولاً إلى حالة من عدم التماسك أثرت على الحالة الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية والعربية تاركة أثارها السلبية على الأسرة أولاً.

ويبدو أن الغزو الثقافي بما يتضمنه من معاني الاختراق الثقافي وطمس الهوية الثقافية واحتلال العقول من خلال التلاعب بالنظام القيمي وإزاحة قيم

وإحلال أخرى بدلاً عنها إلى جانب تغيير الأوليات لضمان السيطرة على المجتمعات.

استهدف الغزو الثقافي في حياة الأسرة المسلمة بوصفها ركيزة من ركائز استقرار المجتمع واستمراره، فالأسرة نظام اجتماعي إنساني أكد الإسلام ضرورته، فهي اللبنة الأولى الأساسية في بناء المجتمع وقد أولتها الشريعة السمحاء من الرعاية والاهتمام ما يجعلها تتبوأ المكانة اللائقة في النظام الاجتماعي الإسلامي لتنطلق بها نحو آفاق أرحب من العزة والكرامة والعمل الصالح في خدمة المجتمع الإسلامي والنهوض به في مواجهة التحديات الثقافية والفكرية التي عانى منها المجتمع الإسلامي في مختلف عصوره ابتداءً من الإسرائيليات التي دخلت المجتمع الإسلامي في بداياته حتى محاولات الأوربيين تنفيذ مخطط الغزو الثقافي وأثاره الخطيرة على المجتمع الإسلامي.

المبحث الأول

الجذور التاريخية للغزو الثقافي

شهد المسار العام لحركة الفكر والثقافة في العالم تطوراً مذهلاً في أقل من ربع قرن أي منذ عصر هيجل وماركس وداروين، فكان المضمون المشترك لمختلف المدارس الفكرية في أوربا منذ قرن أي وقت بلوغها ذروة المجد والانتشار، بينما بدت الولايات المتحدة وكأنها عملاق جديد يتلخص في الإيمان بفلسفة التقدم الذي لا حدود له في مجال التقدم الذي لا حدود له في مجال السيطرة على أركان المعمورة واستخلاص مواردها وتحويلها إلى منتجات وسلع تفي بكافة احتياجات الجنس البشري، وكان هذا التقدم أي الانتشار والسيطرة الأوربي على مجالات واسعة من المعرفة والعلوم فضلاً عن استعمار ما تبقى من أركان المعمورة[1].

اقترن هذا الجو بإقامة الأنظمة الفكرية الكبرى لفلسفة التاريخ أولاً على يد هيجل وثم ماركس وأنجلز وكلا الفلسفتين تتسمان بإيمانهما التكويني بحركة التاريخ الجدلية، وإن كان هيجل قد نحى منحىً مثالياً في حين أتجه ماركس وأنجلز نحو الفلسفة المادية أو التفسير المادي للتاريخ[٢].

عكس هذا التطور الفكري الثقافي التقدم المذهل الذي يلفه الغرب المتقدم في ذلك العصر وأحدث تأثيره في العالم العربي والدائرة الإسلامية لاسيما بعد الغزو الفرنسي لمصر ١٧٩٨ - ١٨٠١ وما أحدثته من هزة عميقة في المجتمع والوجدان العربي وما جلبته من معارف ومعلومات الثورتين الصناعية والبرجوازية وهنا تشعب الرد إلى تيارين كانا وما زالا هما التيارين التكوينين الرئيسين في الفكر العربي الحديث والمعاصر[٣].

أولهما: الأصولية الإسلامية والتي بدأت انطلاقها الجديد، على أيدي جما الدين الاقضائي ومحمد عبده على أساس العودة إلى مصادر الإيمان الخالعة والتحريفات، وإن المصدر هنا هو الأساس الثقافي العام وبشكل أساس عنصره التكويني، والهدف إحياء عظمة الماضي بتشكيل الرصيد التاريخي بحيث ينسجم مع حاجات العصور الحديثة والتي لا يمكن تجاهلها وليس الهدف تعزيم ينطلق من المعطيات المعاصرة.

ثانيهما: العصرية الليبرالية نقطة الانطلاق هنا الحضارة الغربية ويكون التركيز على الفكر العلمي والعقلائية والليبرالية السياسية والهدف خلق مجتمع عصري مماثل لمجتمعات أوربا وأمريكا يسير نحو الأمام مع احتفاظه بالتقاليد المستمدة من الماضي[٤].

وبعد تحليل الأرضية التاريخية الغربية للفكر والثقافة في عالمنا المعاصر نستطيع أن نرسم صورة التفاعل القائم بين هذين المسارين، فقد اتسم الفكر

والثقافة في الغرب المهيمن بأيديولوجية التقدم لسيطرة الغرب على كافة أنحاء المعمورة، فالعملية كانت بدايات الاختراق الغربي أخذت شكل عملية تحضر تتجه فيها الحركات الوطنية إلى استهداف تحقيق التحرر الوطني بوصفه شرطاً لا غنى عنه.

١- مرحلة الاستقلال الشكلي حيث تبدو الثورة الوطنية كافية لمواجهة استعمار محدود المدى والاختراق

٢- مرحلة ثانية تجمع بين الثورة الوطنية والتحرر الوطني والثورة الاجتماعية(٥).

تراكمت أحداث جديدة في العالم العربي بانهيار اتجاهات وقطاعات متناقضة وانهيار دولة المتغرب وتصاعدت الأصولية الدينية في قطاعات واسعة من العالم الإسلامي فقد ساهم الطرح الاقتصادي المتأزم في المجتمعات المتقدمة متخذة صورة التباطؤ الاقتصادي واتخذت المجتمعات النامية صورة أشد قسوةً بدءاً من الديون والمجاعة وازدياد هوة التفاوت بين مستواها العام ومستوى الدول المتقدمة لذا ظهرت فكرة (الخصوصية) في مطلع السبعينيات من القرن الماضي تعبيراً للدور المتزايد للشرق الإسلامي الناهض في حركة العالم وانتشرت هذه الفكرة على المستوين النظري والفلسفي والعملي السياسي انتشاراً واسعاً بحيث أصبحت (الخصوصية) من مسلمات الفكر والعمل السياسي(٦) .

ظهرت فكرة ((العولمة)) وهي ليست دعوة نحو عالمية، المصالح والأهداف ولا نحو مراعاة خير الكل بل هي دعوة لتكريس الوضع القائم الذي تسود فيه ازدواجية المعايير وعدم مراعاة مصالح الآخر (ولا خصوصية)، إنها عولمة غربية المنشأ غربية الأهداف غربية الأدوات غربية الثقافة، إذ أنها ليست الوجه

الآخر للهيمنة وتكريس الآخرين لثقافة الغرب وتحقيق مصالح الغرب على حساب مصالح وثقافة الشعوب الأخرى[٧].

وفي سياق عولمة الثقافة والحديث عن الإنسان العالمي، لاسيما وأن النظام الدولي قد شهد منذ مطلع العقد الأخير من القرن الماضي مجموعة من التغيرات أدت إلى تفرد الولايات المتحدة لقيادة هذا النظام، فيما تعاظمت الأفكار التي تحيق بثقافات الأمم والشعوب بسبب ازدياد ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. وهيمنة الولايات المتحدة على هذا الصعيد، مما أتاح لها فرصة التحكم في رغبات وحاجات المستهلكين وأنماط سلوكهم وحياتهم وإقناعهم لمعاير الثقافة الغربية وصولاً إلى امتثالية لنمط الحياة المرغوب أمريكياً مما يسوغ الادعاءات التي ترى في العولمة الاسم الحركي للأمركة، فقد أصبحت وسائل الاتصال الجماهيري هي المصادر الأقوى في حياة الشعوب لصيانة القيم والرموز، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما أعترى مؤسسات صناعة القيم في العالم الأسرى من خلل وهي العقيدة والمدرسة والأسرة[٨].

اتخذ الترتب لأحداث التغير الاجتماعي الذي سيبعد الأمة عن إسلامها خطة إستراتيجية طويلة المدى حتى لا تمس الأمة الإسلامية بالهدف البعيد بل حتى لا تحس بالأسلوب الذي أجرى به التغيير، فقد بدأ يتجه إلى فكر الأمة وعقلها وعقيدتها وقلبها معتمداً على وسائل الإقناع المختلفة حيث بدأت التعليم والإعلام صحافة وإذاعة وتلفزيون وسينما ومؤلفات وحتى في مصنع القوانين[٨].

إن تضليل ((عقول البشر)) هو أداة للقهر فهو تميل إحدى الأدوات التي تسعى الدول المتقدمة من خلالها إلى ((تطويع الجماهير لأهدافها الخاصة)) ويضمن المضللون التأييد الشعبي لنظام اجتماعي لا يدم في المدى البعيد

المصالح الحقيقية للأغلبية، وعندما يؤدي التضليل الإعلامي للجماهير دوره بنجاح تنتفي الحاجة لاتخاذ تدابير اجتماعية بديلة .

بلغ التضليل الإعلامي بوصفه أداة للهيمنة أعلى درجات تطوره في الولايات المتحدة، حيث يكون التضليل الإعلامي أداة للهيمنة الاجتماعية، فوسائل التضليل عديدة ومتنوعة لكن من الواضح أن السيطرة على أجهزة المعلومات والصورة على كل المستويات تمثل وسيلة أساسية فامتلاك محطات الإذاعة والنشر وشبكات التلفزيون والصحف والمجلات وصناعة السينما يؤدي إلى القيام بدور فعال وحاسم في عملية التضليل[٩].

٢- صناعة المعلومات:

تقوم الحكومة الأمريكية بأعداد المعلومات وتمارس إنتاج المعرفة بوصفها نتاجاً جانبياً للوظائف العديدة التي تتكفل بأدائها، ففي الولايات المتحدة نصب المعلومات في كميات هائلة من كل نوع في الفروع العديدة للحكومة فهناك على سبيل المثال بيانات عن العلاقات بين الأمم، وعن الإنتاج والمصادر الأولية وأنواع أخرى من المعلومات فإدارة الطابع الحكومية في الولايات المتحدة تتلقى يومياً على سبيل المثال كميات من الورق مقدارها حمولة عشرين عربة سكة حديد ثمون نشاطاً طباعياً تكلف سنوياً ٢٠٠ مليون جنيه[١٠] وتشمل غرف المعلومات العلمية والتكنولوجية الفيدرالية على ملايين النسخ من حوالي ٦٠ ألف تقرير بحثي مستقل يضاف إليها ٥٠ ألف تقرير جديد وأن مركز التوثيق لوزارة الدفاع ما يزيد على ٥٠ قسماً وإدارة تعمل أساساً في برامج الأبحاث[١١] وإن الحصيلة الناتجة من المعلومات رغم إثارته للاهتمام حيث هو نموذج معرفي يؤدي إلى التعمية أكثر مما يؤدي إلى الكشف[١٢].

أكدت دراسة تقيس الإنفاق على بحوث التطوير لسنوات العمل الإنساني الفردي بدلاً من قياسها بملاين الدولارات على النتيجة التالية منذ عام ١٩٦١ - ١٩٧٢ وفرت الحكومة الفدرالية ما مقداره:

١- مليوني سنة عمل لبحوث التطوير المتعلقة بالدفاع.

٢- مليون سنة عمل لبحوث التطوير في مجال الوقاء.

وقدرت عملية الإنفاق الفدرالي في مجال بحوث التطوير ١٩٧٠ بحوالي ١٥٠٩٨ مليون دولار في مجالات الزراعة والتجارة والدفاع والصحة وإدارات أخرى.

قدرت تكاليف جمع المعلومات على مستوى العالم عن طريق المخابرات التابعة للبنتاغون والتي هي وكالة من ست وكالات على الأقل لجمع المعلومات وهي مستقلة تماماً عن المخابرات المركزية بحوالي ٢,٩ بليون دولار سنوياً.

ضم الأرشيف القومي ما قدر ١٦٠ مليون صحيفة من الوثائق السرية التي يرجع تاريخ بداية الحرب العالمية الثانية وما يزيد على ٣٠٠ مليون صفه يرجع تاريخها للفترة من سنة ١٩٤٦ إلى سنة ١٩٥٤، ويقدر الدوب تكلفة أدارة النظام الحكومي لحفظ الوثائق السرية والمطبق في أربعة أقسام ثبخ معظم الوثائق الحكومية لوزارة الخارجية بحوالي ١٢٦ مليون دولار سنوياً[١٣].

٣- نشر المعلومات: تمثل عملية نشر المعلومات الجزء المتتم لإنتاج وتجميع المعلومات فالمصالح الاقتصادية هي التي تحدد الطابع المميز لعملية تدفق المعلومات وأشكال الرقابة عليها.

توافق إنشاء الوكالة الأمريكية للاستعلامات عام ١٩٥٣ بوصفها الأداة الرسمية للاتصال الخارجي مع زيادة النفوذ الأمريكي الخاص في أعقاب

الحرب العالمية الثانية، فمع تولي وزارة الخارجية لمهمتها المتعلقة بإحباط أو كبح التغير الاجتماعي في الدول الأخرى من أجل حماية فرص الاستثمار للشركات الأمريكية، استخدمت ما يزيد على عشرة آلاف شخص وأنفقت ميزانية سنوية مقدارها ٢٠٠ ألف دولار وهي تمارس نشاطاً إذاعياً يبث برامجه بـ ٢٥ لغة.

وفي المحصلة النهائية وصلت كلفة صناعات المعلومات حوالي بليون دولار ليست من قبل الحكومة الأمريكية فإن القطاع الخاص أصبح مصدراً أولياً للمعلومات.(١٤)

المبحث الثاني

التيار الانفتاحي الغربي (أهدافه وأساليبه)

تعرضت الأسرة المسلمة لموجات من الفتن والمغريات العصرية التي هيئت على العالم الإسلامي ودخلت المجتمع الإسلامي (باسم المدنية) في صورة ألوان من الابتذال تنذر بالانحلال والذوبان أترت في تماسك السرة واستقرارها فخمدت جذوة الإيمان في النفوس ومما يزيد الأمر تعقيداً أن التغير لا يتوقف على فئة بعينها، إنما امتد ليشمل مختلف الفئات، فأهل الريف وأهل الحضر والمثقفين والعامين ورجال الدين

أساليب التيار الانفتاحي:

أولاً - وسائل الاتصال:

أصبحت وسائل الاتصال الجماهيري في زمن العولمة هي المصادر الأقوى في حياة الشعوب لصناعة القديم والرموز، وإذا أخذنا بعيني الاعتبار ما أعترى مؤسسات صناعة القيم في العالم الإسلامي - الأسرة والمدرسة - من

خلل تصبح المناظر التي تتعرض لها الخصوصية الثقافية الإسلامية أكثر موضوعاً مما ينذر بكارثة على المستوى الأسري، فقد كان الاستخدام الغربي للثقافة من المقدمات المنطقية لاستعمار الأوربي، من خلال الرقيات التبشيرية وتكريس ثقافة الممثل حيث لعبت ثقافة الممثل دوراً أساسياً في السيطرة على العالم الإسلامي عن طريق شعارات الصلاح ونشر الديمقراطية كتعبيرات سياسية للعولمة، على الرغم من أن ذلك ينطوي على قدر اجراءات هادفة تتلخص في طمس الهوية والخصوصيات الثقافية، مما يحمل مخاطر لجوء الشعوب المستخدمة إلى اجراءات حمايته ثقافية تكرس الانغلاق وتطيل أمدا لاستبداد والظلامية[١٥].

٢- التعليم المنهجي والتثقيف العام:

فقد وضع العالم الغربي مخططاً خطيراً للسيطرة على الفكر الثقافي وثقافة الأسرة العربية المسلمة ومنهجاً بالغ المكر والمكيد لغزو الأسرة المسلمة عن طريق التعليم المنهجي والتثقيف العام، فكان هذا الغزو غزواً فكرياً ونفسياً وخلقياً وسلوكياً خطيراً ينسخ شخصية الأسرة الإسلامية نسخاً كاملاً، ويقيم بدلاً عنها مزيجاً من صورٍ شتى وأخلاط مختلفة لا تناسق وتتلاءم مع الأسرة العربية المسلمة وشخصيتها وثقافتها الدينية الإسلامية، فعبثت هذه المخططات الغربية بكل مقومات الأمة الإسلامية في كل مجال من مجالات أنشطتها الحيوية، وفي كل مؤسسة من مؤسساتها الاجتماعية، فالسياسة التعليمية والخطة الدراسية والمنهاج والكتاب والمدرس والبيئة التعليمية ونظام التعليم والتثقيف والتقويم، فهذه المفردات تشكل أركان العملية التعليمية في العالم الإسلامي سيطر عليها الغرب ووضعوا سياسة تعليمية غايتها تربية جيل يدين لهم بالولاء وإلغاء عن ولائه لدينه ويتفحص مفاهيمهم وسلوكهم الاجتماعي[١٦].

واستطاع الغرب أن يغزو بلاد المسلمين في عقر دارهم عن طريق السيطرة على المناهج الدراسية حيث تحول ولاء المتعلمين والمتعلمات إلى الثقافة الغربية بفسقها وانحلالها وانحرافها متجاهلاً ثقافة الإسلامية وحضارته الرائدة الهادية وآداب كتابه وسنة رسول الله ﷺ ومن ثمرات سيطرة الغرب على التعليم دعوات الإلحاد والزيغ والفساد وتخنث الرجال وترجل النساء، ومن ثمرات السيطرة على التعليم تحول العادات والتقاليد الموروثة إلى عادات وتقاليد غربية هدفت إلى إذابة الكيان الإسلامي في نفوس المسلمين ليصبحوا نهياً للفكر الغربي والحضارة الغربية.(١٧)

أما في مجال الحياة الاجتماعية وما يسودها من قيم وآداب سلوكية، وما يحيط بها من عادات وأعراف وتقاليد هدف ضخم لأعداء المسلمين والإسلام فالسيطرة عليها أو تغريبها يستطيع الأعداء أن يسودوا المجتمعات الإسلامية وان يغرسوا في نفوس المسلمين ما شأوا من قيم وآداب وعادات وأعراف وإذا أفلحوا في ذلك استطاعوا بأيسر مجهود أن يقتلعوا من نفوس الناس القيم الإسلامية والآداب القرآنية وكل فضيلة دعا إليها الإسلام، وفي هذا المجال كان لمحاولة تغريب المرأة أولوية وأهمية، لأن أفساد المرأة إسراع بالمجتمع نحو الفساد، فمن المعروف أن المرأة ذات أثر لا ينكر في تربية الأبناء وتنشئتهم منذ نعومة أظفارهم ومن هنا كان تشويهها أو تغريبها تشويهاً لأفراد الأسرة وبراعمها رجال المستقبل ونساءه فكانت الغربة الأولى للمرأة، فنادوا بأن تخلع حجابها ففعلت وسجنها على ذلك الفاضلون من أبناء دينها ثم زجوا بها في ميادين العمل ومصارعة الحياة بما لا يتناسب مع إمكانيتها الجسدية، ولم تقف محاولات تغريبهم للمرأة وسلخها عن إسلامها وإنما تجاوزوا على ذلك إلى العبث بحقوقها وواجباتها التي فرضتها الشريعة الإسلامية والتي هي أكرم أسلوب لحفظ كرامة المرأة وصيانة حاضرها ومستقبلها، فعبثوا بنظام الطلاق

في الإسلام وعبثوا بنظام الحضانة ونظام الزواج ونظام الميراث[١٨].

أخذت حملات التغريب ضد الأسرة مجالات خبيثة وماكرة، فبعد أن بعدت المرأة عن بيتها ومملكتها معظم وقتها وأغلب يومها، كانت النتيجة الطبيعية لذلك أن عاش أفراد الأسرة وبخاصة الصغار منهم في إهمال وتهاون أو تريث على ذلك أثاراً نفسية وتربوية ميتة عانى منها الأطفال حيث حرمته وسائل التغريب من حنان أمه وحد بها وحرصها على توجيهه وتربيته أحسن تربية بوحي من فطرة الأمومة النقية الصافية وحتى لو أشرفت المرأة على تربية أبنائها بعد أن شوهتها حضارة الغرب وأفسدت ما فيها فأن هؤلاء الناشئين لن يكونوا في الصورة التي تمكنهم من الإسهام في بناء المجتمع الذي يعيشون فيه على وفق المنهج الإسلامي[١٩] ومن هنا نجد السبب في الجنوح والانحراف واحتراف الحرف المخلة بالآداب النافية للشرف والأمانة كان تغريب الأسرة سبباً مباشراً لها.

ثانياً: وسائل الأعلام المرئي:

تعد وسائل الإعلام من أهم الأدوات التي تنقل الرسالة الإعلامية من خلالها، وهي على عدة أقسام أهمها وسائل الإعلام المطبوعة والمرئية والمسموعة، ويمكننا القول أن وسائل الإعلام المرئي هي الوسائل التي تعتمد على حاسة البصر أو على حاستي السمع والبصر معاً في تلقيها الرسالة[٢٠] وتنقسم إلى قسمين:

أولهما القنوات الفضائية:

أثرت القنوات الفضائية على واقع الأسرة المسلمة بشكل كبير، فقد تغلبت هذه القنوات على الكثير من العوائق كالزمان والمكان والمسافة التي كانت تبطن من عملية التأثير الثقافي والاجتماعي على الأسرة العربية المسلمة لاسيما

في الدول العربية والمسلمة، إذ أن موقعها الجغرافي أسهم في جعلها تتعرض لعدد كبير من القنوات الفضائية من بعض دول أسيا وأمريكا والدول الغربية[٢١] إذا أن نسبة كبيرة من الأسر المسلمة تتأثر بشكل كبي في هذه الفضائيات لاسيما وأن أكثر من ٧٠٪ من الأسر العربية والمسلمة تتابع هذه الفضائيات بمختلف لغاتها لأكثر من ١٠ ـ ٢٠ ساعة يومياً وهذا يعني تأثير هذه الفضائيات على سلوك الأسر المسلمة أو أحد أفرادها أو أكثر مما شكل مناسبة للابتعاد عن الدين الإسلامي.

ثانيهما الانترنت:

فرضت شبكة الانترنت وجودها بشكل كبير إذ عدت منعطفاً هاماً في عالم العلوم والثقافة والاتصال، وهذا يعني تأثيرها بشكل كبير على واقع الأسرة المسلمة، إذ أن استخدامها بشكل سلبي وبلا توجيه ولأهداف سيئة جعلها تستخدم للإساءة للأسرة العربية المسلمة بشكل يؤثر أقوى من الأنشطة العلمية والتربوية التي تعتمدها وأجدى من المنابر التي نعتليها لتربية الأولاد وتقويم الأسر المسلمة، تطورت شبكة الانترنت في السنوات الأخيرة تطوراً ملحوظاً نتج معه تحول حضاري سببه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي أدخلت إلى المجتمع العالمي فقد ربطت أسواق المال والبورصات العالمية ثم مراكز المعلومات والمكتبات ما أدى إلى إقبال متزايد على هذه الشبكة الأمر الذي أدى زيادة استخدام هذه الشبكة حتى وصل إلى أكثر من مليار ونصف شخص وهذا يعني إننا نتعامل مع عالم خطير مليء بالفوائد والايجابيات والأخطار والسلبيات حيث أن أكثر من ١٠٪ من الأفراد يستخدمونها للتسلية و٤/٩٪ يستخدمونها لقضاء وقت الفراغ وأن أكثر من ٣٪ يستخدمونها للتعرف على الأصدقاء وهو ما يشكل نسبة ١٨٪ من إجمالي الأفراد الذين يستخدمونها في المجتمعات العربية يقضون ما بين ٢ ـ ١٢ ساعة يومياً وهذا يعني

أن تلك الوسائل في حقيقة الأمر سلاح ذو حدين والحكم عليها مرتبط بطبيعة استخدامها لاسيما وأن ما نسبة ٦٣/٨ يتأثرون بعرض القنوات الفضائية وإن ٤٩,٢ يتأثرون بما يعرض في المواقع الالكترونية في شبكة الانترنت[٢٢].

شكلت وسائل الإعلام المذكورة تأثيرات خطيرة وأخطاراً سلبية تمثلت في الأخطار العقيدية والثقافية والاجتماعية والسلوكية لاسيما ما يتعلق بطمس الخصوصيات المميزة للثقافة الوطنية ومحو معالم التراثية الحضارية لاسيما وأن بوادر هذا التأثير نجمت عن هزت ثقة في الأسر المسلمة وأفرادها ودكت أسس إيمانها بدينها وأمجادها وتاريخها دكاً.

١- يعد تشكيل العقيدي من أهم الهداف التغريبة القديمة، أصبحت التكنولوجيا الحديثة تدعمه فقد حرص أعداء الإسلام على تشويه صورة الإسلام في نفوس الأسر المسلمة والطعن فيه وفي المتمسكين به، بدعوى الانفتاح الحضاري والثقافي والإعلامي ومواكبة التطورات العالمية.

٢- نشر العقائد والأفكار الباطلة والخرافية

تحمل وسائل الإعلام الغربي وبعض القنوات العربية والمستعربة مواد يتعارض مع ما يدين به المسلمون وما يعتقدونه من معتقدات وبذلك تسعة هذه القنوات إلى نشر المادة وإغفال القدرة الإلهية، ومن ذلك عرض شعائرهم الدينية وطقوسهم وترانيمهم وعباداتهم الشركية ورموزهم وعابدهم الوثنية فيضعف ما في قلوب المسلمين من عقيدة التوحيد والبراءة من الشرك وأصله لاسيما إذا أضيف إلى ذلك حرص القائمين على عرض الحياة الغربية بصورة مزيفة ومبهرجة تدعو إلى الانهيار والإعجاب ومن ثم المحبة والمودة لهم والسعي لتقليدهم ومحاكاتهم باكتساب العادات والأفعال المحرمة التي تقدح في

عقيدة المسلم[٢٣].

٣ـ توجيه عقيدة الأطفال: من دسائس الغرب غزو عقيدة الأطفال المسلمين من خلال الرسوم المتحركة، فقد قدمت هذه القنوات برامج ترفيهية ورسوم متحركة تعتمد على الخرافة والسحر والخيال استحوذت على نفوس وقلوب شريحة كبيرة من الأطفال المسلمين لكنها تتعارض مع عقيدة المسلمين بشكل واضح.

٤- إشاعة النموذج الثقافي الغربي فقد سعت الفضائيات والقنوات إلى ما يسمى بالتجانس الثقافي بين المجتمعات وذلك بإشاعة النموذج الغربي وتجريد الشخصية المحلية من مقوماتها الفكرية والدينية التاريخية ومحو معالم الذاتية الثقافية في كل أمة وتسطيحها إلى المدى الذي جعلها متوافقة مع أهداف ومصالح القوى الثقافية العربية.

٥- الدعوة للعنف:

ساهمت المواد الاعلامية التي تحتوي على مشاهد العنف والجريمة والتي تصور للناس كيفية التخطيط للجريمة وتصف تفاصيلها الدموية المرعبة، منشوق ظاهرة العنف والعدوان التي تؤدي إلى قبول العنف كوسيلة استجابية لواجهة بعض المواقف، أو ممارسة السلوك العنيف، كما أن عرض صور الرفاهية والبذخ لدى بعض الطبقات الموسرة تضاعف الشعور بالرغبة الطاغية لبلوغ مثل هذه المستويات، فإن تعذر بلونها بالطرق المشروعة فلا بأس من بلوغها بطرق غير مشروعة.

أحدثت تلك التأثيرات تباعداً اجتماعياً بين أفراد المجتمع وصل أحياناً إلى حد المقاطعة، فقد كانت لها أثاراً اجتماعية وضح تأثيرها في العلاقات بين أفراد الأسرة، فبعد دخول تلك الوسائل في حياة الناس وانتشارها بينهم

ظهرت العديد من المشكلات التي لم تكن في الغالب موجوداً قبل مجيئها، وهذا الأمر رغم وضوحه وظهوره على أرض الواقع بين العديد من الأسر وفي كثير من البيوت فقد أظهرت بعض الدراسات أن ٦٠٪ من المشكلات السرية يكون للوسائل السابق أثراً فيها ومنها.

١- **المشكلات بين الأزواج**، فقد سببت القنوات والمواقع الفضائية الخلافات الواسعة بين الأزواج، وحولت تلك الوسائل سمات الطهر والحياء إلى صفات الدناءة والوقاحة، وحولت البيوت التي كانت تخيم عليها السعادة والاحترام والمودة إلى النكر والكراهية والخصام والانغلاق.(٢٤)

٢- **المشكلات بين الأبناء وأولياء أمورهم**، أما بالنسبة للأبناء فتمثلت مشاكلهم مع أولياء أمورهم بسبب عدم الاستجابة لواديهم وقضاء حاجاتهم في أثناء متابعتهم وجلوسهم أمام التلفزيون أو الكمبيوتر فاستغراق الأولاد واستمتاعهم بمتابعة تلك المواد والبرامج عينهم من الاستجابة لآباءهم وهو نوع من أنواع العقوق نهى الله عزّ وجل عنها ورسوله ﷺ.

المبحث الثالث

منهج الإسلام الانفتاحي في بناء الأسرة

تميز الدين الإسلامي بالحركية والحيوية باعتباره سنة للحياة لا سبيلاً للموت والتحجر والسكونية والاغلاق، ومنهج التحضر والمدنية وأساس العمران وفن العيش الكريم، فالإسلام دين عالمي شامل وخالد وهو صالح لكل زمان ومكان وهذه المقولة الذهبية هي لب الألباب في الانفتاح الإيماني الإيجابي الدائم الذي لا يتنكر للدين القيم ولا يناوئ القيم ولا يناهض الأخلاق ولا

ينساب من تقليد أعمى لدورة الحضارة الأوربية ولا لأساليبها الملتوية المتنوعة الاتجاهات فقد جاء في القرآن الكريم (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)[٢٥].

فالتحصن بالقرآن ويمثل هذه الآيات القرآنية من سراب الانفتاح الذي تروج به الفضائيات[٢٦] وخط الإسلام ركز على كل الأسر على أساس انها تصنع للمجتمع والأمة كلها جيلاً صالحاً، فالصلاح هو العنوان الكبير الذي يريد الله سبحانه وتعالى أن تثمثله في كل حياتها، فخط الصلاح وهو ما نقرأه في القرآن الكريم وقد جاء في قوله تعالى (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلاّ الين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) هذا هو ما تحتاجه الأسرة المسلمة، فالصلاح خط تتحرك فيه الأسرة المسلمة من أجل أن يكون الفرد ويكون المجتمع وتكون الأمة كلها في خط الصلاح حتى يمكن أن تعطي لها سمواً وارتفاعاً وانفتاحاً على الحق والخير والعدل بين يدي الله سبحانه وتعالى[٢٧].

وارتكز المنهج الإسلامي في مقاومة هذه الوسائل على:

١- منظومة التحصين: ويراد بها تحصين الأسر المسلمة ضد خطر هذه الوسائل
٢- منظومة التأثير ونعني إصلاح مسيرة تلك الوسائل بالأساليب المناسبة ومحاولة إيجاد البديل المناسب
٣- منظومة المواجهة: ويقصد بها مواجهة هذا الغزو بكل الوسائل الممكنة
٤- منظومة المنع والحجب: ويقصد بها حجب القنوات والمواقع التي تؤثر على الأسرة ومنع مشاهدتها[٢٨].

إن من أهم الوسائل التي يمكن مواجهة الانفتاح الغربي وأثره على السر

المسلمة يتمثل في تربية أبناء المجتمع الإسلامي تربية صحيحة وفق التوجهات التي جاءت بها شريعتنا الغراء لاسيما تلك المواد التي تستحدف السر المسلمة من خلال أطفالها وشبابها ومن هنا تحتمت رعاية الفرد المسلم منذ نعومة أظفاره بما يضمن له النجاة انطلاقاً من البيت ومروراً بالمدرسة وانتهاءً بالمجتمع، فالبيت أو الأسرة هي المحصن الأول للفرد الذي فيه تشكل شخصيته وذلك من خلال العيش مع الأسرة بيئة يتتبع ويقتبس عادات وتقاليد ومعتقدات، وأنماط من السلوك الإسلامية فالأسرة المسلمة يجب أن تهتم بتنشئة أبناءها تنشئة شاملة تراعي فيها الجوانب الأساسية في بناء الغزو وعلى رأسها جانب العقيدة وجانب العبادة وجانب الخلاق وجانب العلم والثقافة بحيث تتكون لدى الغزو حصانة ذاتية أمام الأفكار والسلوكيات الغربية الهادفة[٢٩].

إن اهتمام الأسرة له أثر كبير وجوهري لاسيما قضية النصح والتوعية والإرشاد التوجيه لا ينالها لاسيما الأسس والمعايير الإسلامية التي يميزون بها الخير الذي يثقفهم في دينهم ودنياهم، والشر الذي يضرهم ويؤثر في حياتهم وآخرتهم وهذا يعني أن الأسس المسلمة تتحمل مسؤولية عظيمة تجاه أولادها وحمايتهم

ملخص البحث:ـ

شكلت ظاهرة تداخل الثقافات وتلاحقها إحدى سمات الحضارة الإنسانية عبر التاريخ، فقد كان هذا التداخل طبيعياً في الماضي، وتنوعت آلياته ووسائله سواء من خلال الاحتكاك والحروب أو التجارة أو الترجمة أو التزاوج أو عقد التحالفات أو تقليد المهزوم للمنتصر، إلا أن ما يجري الجدل في شأنه في ظل شبكة المعلومات بغض النظر عن المصطلح المستخدم لوصف الظاهرة سواء التبعية الثقافية أو الغزو الثقافي أو الهيمنة الثقافية أو الاختراق الثقافي أو

الاستتباع الثقافي والتي لا يخلو بعضها من مضامين إيديولوجية ـ يختلف من حيث النوع والوسائل والآليات الأمر الذي يميز الظاهر عما عرف بتفاعل الثقافات ويحمل في ثناياه تحديات جسيمة على الهوية والشخصية الوطنية والثقافة المحلية والوطنية، بما يتضمن تخلي الإنسان عن مرجعيته وانتمائه وولائه، والاغتراب عن تاريخه وموروثه الحضاري، وهو ما تصفه وسائل الاتصال والبث المباشر والتي تعيد تشكيل الذاكرة والوعي الخاص بالبشرية ويذوب بـ العام ن وصولاً إلى حالة من عدم التماسك أثرت على الحالة الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية والعربية تاركة أثارها السلبية على الأسرة أولاً.

ويبدو أن الغزو الثقافي بما يتضمنه من معاني الاختراق الثقافي وطمس الهوية الثقافية واحتلال العقول من خلال التلاعب بالنظام القيمي وإزاحة قيم وإحلال أخرى بدلاً عنها إلى جانب تغيير الأوليات لضمان السيطرة على المجتمعات

استهدف الغزو الثقافي في حياة الأسرة المسلمة بوصفها ركيزة من ركائز استقرار المجتمع واستمراره، فالأسرة نظام اجتماعي إنساني أكد الإسلام ضرورته، فهي اللبنة الأولى الأساسية في بناء المجتمع وقد أولتها الشريعة السمحاء من الرعاية والاهتمام ما يجعلها تتبوأ المكانة اللائقة في النظام الاجتماعي الإسلامي لتنطلق بها نحو آفاق أرحب من العزة والكرامة والعمل الصالح في خدمة المجتمع الإسلامي والنهوض به في مواجهة التحديات الثقافية والفكرية التي عانى منها المجتمع الإسلامي في مختلف عصوره ابتداءً من الإسرائيليات التي دخلت المجتمع الإسلامي في بداياته حتى محاولات الأوربيين تنفيذ مخطط الغزو الثقافي وأثاره الخطيرة على المجتمع الإسلامي.

هوامش البحث

(١) أنور عبد الملك، تغيير العالم، عالم المعرفة ٩٥، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨ ص ٩٧- ١٠٠.

(٢) المصدر نفسه ,ص١٠١

(٣) المصدر نفسه,ص١٠١-١٠٢

(٤) المصدر نفسه,ص١٠٣

(٥) المصدر نفسه ,ص١٠٤

(٦) مصطفى النشار ضد العولمة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩ ص ١٨.

(٧) هانس،بيتر مارتن، هارلدشومان، فخ العولمة، ترجمة. د عدنان عباس علي، مراجعة وتقديم أ. د. رمزي زكري، سلسلة عالم المعرفة، ٢٣، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٩٨، ص

(٨) علي محمد جريشة، محمد شريف الزييف، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، الجامعة الإسلامية دار الاعتصام، المدينة المنورة، ١٩٧٩، ص

(٩) هربرت. أ. شيللر، المثلا عيون بالعقول، عالم المعرفة ١٠٦ ترجمة عبد السلام رضوان المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨، ص١٩.

(١٠) المصدر نفسه ص٤٢

(١١) المصدر نفسه ص٤٣

(١٢) عمر مصطفى محمد شمسة، العولمة الثقافية والثقافة السياسية العربية، جامعة النجاح، نابلس، ٢٠٠٥، ص٨

(١٣) عبد الرحمن حسن الميداني، غزو في الصحيح، دار القلم، دمشق، ١٩٨٢، ص١٧

(١٤) احمد عبد الرحيم السايح، الاسرة المسلمة وقضايا العصر، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨١، ص٢٥

(١٥) عبد الله ناصح علوان، تربية الاولاد في الاسلام، دار السلام للطباعة، القاهرة، ١٩٩١، ص٥٦

(١٦) وزارة الاوقاف، جمهورية مصر العربية، موقف الاسلام من تنظيم الاسرة، القاهرة، ١٩٨٨، ص٢٦

(١٧) عبد الله عوض راشد العجمي، الغزو الفكري عبر وسائل الاعلام المرئي وخطره على المجتمع، جامعة الكويت، الكويت، د.ث، ص٣٨٩

(١٨) المصدر نفسه، ص٣٩٠.

(١٩) المصدر نفسه، ص٣٩١.

(٢٠) المصدر نفسه، ص٣٩٢.

(٢١) المصدر نفسه، ص٣٩٣

(٢٢) سورة آل عمران الآية: ١٣٩

(٢٣) محمد البشير الهاشمي فصلي، الفتاة المسلمة ودعوات الانفتاح، مجلة مركز الغدير للدراسات الإسلامية العدد السادس والثلاثون، السنة التاسعة، ١٤٢٥ - ٢٠٠٥، ص١١٨

(٢٤) محمد حسين فضل الله، مصدر سابق، ص٢٩٣.

(٢٥) عبد الله عوض، مصدر سابق، ص٤٣٥.

(٢٦) المصدر نفسه، ٤٣٦.